التنظيم القبلي من منظور نظرية الانساق الاجتماعية

الطاهر القريض/ قسم علم الاجتماع / كلية الآداب/ جامعة الزاوية

Abstract:
The objectives of this essay are :
First, applying the assumption of the social systems theory which states societal cultural organization has the characteristics of autopoietic systems , to analyze the components of tribal organization system .
Secondly ,to examine the functional differentiation caused by processes of sociocultural evolution to which tribal organization system exposed .
The weberrian method ,werstehen ,
Is utilized to guide the investigation.
The findings indicates the sociocultural tribal organization has the four characteristics of autopoietic systems so it can reproduce itself .
More over it can develops new functional subsystems and establishes relations among themselves thus they can encounter the challenge of the environment , the tribal functional subsystems differentiation could not cop up with the societal structural differentiation .

مُقدمة:

ينطلق هذا العمل في تحليل التنظيم الاجتماعي القبلي من المنظور السسيولوجي لنظرية الانساق الاجتماعية من أن المجتمع بوصفه نسقاً اجتماعياً ثقافياً يتفاعل فيه السكان مع البيئة بتوظيف تكنولوجيا إنتاج فيشهد عمليات من التمايز البنائي الوظيفي يقود إلى تباين في البناء الاجتماعي يتمظهر في انساق فرعية استجابة لإنجاز ضرورات وظيفية أو لزوميات ثقافيه لبقاء المجتمع واستمراريته، تتأسس علاقات تنظيمية تتسم بالاعتماد الوظيفي المتبادل لاكتساب الفاعلية لاستغلال البيئة ولهذا يتطور الأسلوب المجتمعي في التنظيم الذي يعد واحداً من أهم مراحل التطور الاجتماعي الثقافي للمجتمعات، فالتنظيم يعد ميكانزما أساسياً للتكيف فهذا المنظور يصف المجتمع في شكله التنظيمي على أنه عبارة عن مكونات أو عناصر وظيفية ترتبط

فيما بينها بشكل مباشر أو غير مباشر بعلاقات سببية معقدة تشهد استقراراً وثباتاً فترة زمنية معينة .

تعتمد نظرية الانساق الاجتماعية في تفسير التطور التنظيمي لمكونات الانساق الاجتماعية الثقافية (المجتمع) من منظور "علائقي" فالنسق عبارة عن حزمة من العلاقات، وبالتالي فهو اكثر من مجموع مكوناته، انه مجموع المكونات بالاضافة الى العلاقات فيما بينها . و تتباين الانساق المجتمعية الثقافية في درجة التنسيق الداخلي بين مكوناتها؛ بمعنى الاتساق بين وظائف الاجزاء كل بالاخر من جانب و الاتساق بين وظائف الأجزاء و عمل النسق ككل Lenski Q Lenski (1978:31) . هذا العمل يهتم بفحص الترابط بين مكونات النسق الاجتماعي الثقافي للتنظيم القبلي، و بخاصة الاتساق بين وظائف الانساق الفرعية كلٌ بالآخرة و كذلك الاتساق بينها وعمل النسق ككل.

هذا المستوى من التحليل يستند على مصطلحات ومفاهيم ذات طبيعة ديناميكية. إذ سيتم النظر إلى كل جوانب الانساق الاجتماعية الثقافية في البعد الأفقي للبناء الاجتماعي وهي في حالة الحركة، أو ما تطلق عليه النظرية الوظيفية "التوازي المتحرك" بين المكونات البنائية للمجتمع من منظور تكاملي، فكما يقترح Bukley 1967:101 عند تعريفه لنظرية النسق بأنها تتضمن تكامل البناءات الموضوعية الكبيرة الحجم، والانساق الرمزية، والفعل والتفاعل، والشعور والادراك الذاتي. وكذلك فعل (Ball 1978:68) عندما اكد على ارتباط كل هذه الجوانب من خلال عمليات التغذية الاسترجاعيه. وهذا ما يمثل جوهر التنظيم الاجتماعي وخاصة عندما يتم الأخذ في الاعتبار أن العلاقات والتنسيق بين الانساق الوظيفية في المجتمع تتم من خلال شبكات للتحكم في المعلومات والاتصالات متمركزه في القبيلة الأساس البنائي للانساق الوظيفية في التنظيم القبلي.

تاريخياً تشكلت القبيلة كأسلوب في التنظيم الاجتماعي في الرقعة الجغرافية المعروفة حالياً بليبيا كنتيجة لاتصال جماعات سكانية متوطنة ووافدة، بالبيئة كآلية لإشباع الضرورات الوظيفية الأساسية للبقاء والاستمرارية كاستغلال موارد الغذاء المعيشية والحفاظ على النوع البيولوجي والاتصال والدفاع عن النفس، وظهور القبلية في ليبيا في العصور البدائية لم يكن حصرياً إذ أن القبيلة هي أولى أشكال التنظيم الذي عرفته الجماعات الإنسانية فوًفقا للنظرية التطورية فإن الاستعداد للتعاون الموروث جينيا عند الكائنات البشرية من ناحية وتدني الكفاية النوعية والكمية لتكنولوجيا الإنتاج البدائية، الصيد والجمع والالتقاط، جعل من الجماعات السكانية الصغيرة الحجم تتنظم في شكل قبائل أو عصابات "Clans or Brands".

وتمضي النظرية لتقترح بأن على امتداد 35 الف سنه على الأقل فإن النوع البشري عمل على تبديل نمطه التنظيمي في الاتصال بالبيئة، فلقد حدثت تغيرات في أساليب التنظيم الاجتماعي بسبب التغيير في استخدام أساليب تكنولوجيا استغلال البيئة في كل أنواع بيئات الكون، وما عرفته

المجتمعات من تباين اجتماعي ثقافي ترجعه النظرية التطورية إلى التفاوت في التطور في تسخير موارد البيئة.

فالكثير من بني البشر لا يزال يعيش في تنظيمات بسيطة وصغيرة، بينما البعض الأخر يعيش في تنظيمات أكبر حجماً وأكثر تعقيداً (Lenski Q Lenski 1978) فكلما تطورت تكنولوجيا استغلال موارد البيئة كلما شهد البناء الاجتماعي تحولاً في التنظيم الاجتماعي من البساطة إلى التعقيد أفقياً وعمودياً على مستوى الانساق البنائية والوظيفية المكونة للنسق الاجتماعي الثقافي الكلي "المجتمع". إذ يشهد المجتمع تنوعا ة انتشاراً أفقياً على قاعدة البناء الاجتماعي للانساق المجتمعيه كالاقتصاد، والسياسة، والقانون ويلازم هذا ارتفاعاً على البعد الرأسي للبناء الاجتماعي حيث تشهد المجتمعات عدم المساواة بين الأفراد والجماعات في الوصول إلى الموارد النادرة والقيمة كالوجاهة والهيبة الاجتماعية والقوة الاقتصادية والسياسية.

القبيلة نسق يعيد إنتاج نفسه:

يعد مفهوم "التكون الذاتي" Autopoiesis من أهم أدوات التحليل في نظرية الانساق، فالنسق له القدره على إنتاج عناصره المكونه له؛ له خاصية تنظيم ذاته وذلك بتحديد ما بداخل النسق "مكوناته" وما خارجه "البيئة"؛ يتميز بقدرته على إيجاد مرجعيه ذاتيه تنبثق في شكل إجراءات وعمليات وقد تأخذ المرجعية شكل الأفكار والمعتقدات أو المعايير التي تحدد عمل النسق؛ وأخيراً فإن النسق الذي يتميز بقدرته على إعادة إنتاج نفسه عادة ما يكون مقفلاً أو منغلقاً على ذاته؛ فتعامل النسق مع بيئته يتم عبر ممثليه.

هذا المنظور يقدم مفاهيم وعلاقات منطقية ونظرية قد تسهم في تحليل القبيلة كنسق اجتماعي ثقافي فرعي بنائياً ووظيفياً وصولاً إلى تشكل البناء الاجتماعي للمجتمع ليأخذ شكل التنظيم القبلي المتمركز حول العصبية القبلية.

1- القبيلة ذاتيه التكوين لها القدرة على إنتاج عناصرها الأساسية المكونة لها. فالعنصر الأساسي للقبيله هو العصبيه القبلية، ما يجعل العصبيه القبليه العنصر الأساسي في القبيلة هو أن الأشياء في نسق القبيلة تتحدد بشكل جوهري بما تسهم به في اشتداد قوة العصبية القبلية، وما تضفيه من دلاله ومغزى على مفهوم القبلية لدى أعضاء القبيلة. فكبر حجم السكان واتساع رقعة الأرض التي تقيم عليها القبيله قد لا تعي الكثير أن لم يتوفر شعور قوي بالتمركز حول الذات لدى أعضاء القبيلة. إلا أن العصبية القبلية في معناها وقيمتها، إضافة إلى الأغراض التي تستخدم فيها جميعها تتحدد بواسطة نسق القبيلة ذاته فالعصبية لا توجد قبل وجود النسق القبلي او خارجه فكلٌ من العصبية القبلية والنسق القبلي انبثقاً سوياً ويعتمد كل منها على الأخرُ . فمن غير الممكن إدراك وجود القبيله بدون العصبية القبلية، مع التأكيد على الطبيعة التدرجية على متصل الحدة

والضعف لقوة العصبيه عبر الزمان والمكان تأثراً بعوامل عده من أهمها تحول النسق الاجتماعي الثقافي الكلي "المجتمع" من المجتمع التقليدي إلى المجتمع المدني المعاصر. كما أن العصبية القبلية كآلية للتضامن الاجتماعي لا توجد في المجتمعات التي لا تعرف النسق القبلي في بنائها الاجتماعي تأخذ مكانها ألية تقسيم العمل والاعتماد الوظيفي المتبادل للتضامن الاجتماعي كما هو الحال في المجتمعات الصناعية.

2- **القبيلة نسق له خاصية إنتاج ذاته تعمل على تنظيم نفسها ذاتياً.** وتقترح نظرية الانساق بأن هذا يتم بطريقتين؛ العمل على توضيح حدودها مع مختلف البيئات الطبيعة والبيولوجية والاجتماعية الثقافية التي تخص الانساق الوظيفية الاخرى في المجتمع، إلا أنها تشترك مع باقي الانساق الفرعية الوظيفية لبيئات المجتمع الكلي، كما تعمل على تحديد علاقات التقاطع مع باقي الانساق الفرعية الوظيفية التي تتطور نتيجة الاعتماد الوظيفي المتبادل عند إنجاز الضرورات الوظيفية الموكلة لكل نسق وظيفي فرعي، وبذلك فالقبيلة تنظم نفسها بتحديد ما هو في داخل القبيلة وما هو في خارجها في البيئة. فالقبيلة تعتبر كل شي يتم على اساسه تحديد قوة القبيلة و سطوتها مقارنة بالقبائل الأخرى جزء من النسق القبلي. وهذا ما يجعل تحديد ما بداخل القبيلة وما خارجها يتم وفقاً للتنظيم الذاتي للقبيلة وهذا ما يجعل الضرورات الوظيفية للقبيلة متعدده لتشمل الزياده في حجم أعضائها والزواج والنطاق الجغرافي الذي تشغله وإنتاج السلع والخدمات، الأمن والدفاع...الخ. لا يمكن اغفال ما تقوم به بعض القوى الاجتماعية أو السياسية، و الاقتصادية من تدخلات لتحديد مجال القبيلة ووظائفها، فالنسق السياسي على سبيل المثال دائماً يحاول سن قوانين للحد من الملكيه القبلية للاراضي العامه وتحويلها إلى ملكية الدولة للتمدد العمراني في المدن إلا أن ذلك لم يعمل إلا على زيادة أسعار الأراضي، أو دخول القبائل في نزاعات مع بعضها البعض حول ملكية تلك الأراضي الأمر الذي لا يشجع الناس على شرائها، وبذلك تظل ملكية الأراضي في داخل نسق القبيلة.

كما أن القبيلة، بعد أن ترتب حدودها الداخلية، تعمل على إيجاد آليات بنائيه تضمن لها التنظيم الخارجي في مختلف البيئات التابعة للانساق الفرعية الأخرى. واحدة من أهم هذه الأساليب العمل على شغل أعضائها مواقع في هرم السلطة البيروقراطية أو السياسية أو القوة الاقتصادية في الدولة. ويعد هؤلاء هم من يمثل القبيلة أو ما يمكن اعتبارهم الذوات الفاعله بحسب تعبير "تورين" في المجتمع.

وهكذا يتضح بأنه أن لم يكن لنسق القبيلة عنصره الأساسي العصبيه القبلية فإن تنظيم القبيلة الخارجي كما ينعكس في علاقاتها مع الانساق الأخرى أو في تنظيمها الداخلي في احتلال المواقع في بناء

السلطة سيكون مختلفاً تماماً، على سبيل المثال، إذا ما كان نسق القبيلة يقوم على نظام "تقسيم العمل" بدلاً من روابط القرابة وصلات الدم كعامل للتضامن الاجتماعي، فإن أشكال التنظيم الخارجي والداخلي للقبيلة ستكون مختلفة فحجم الاعتماد الوظيفي المتبادل مع الانساق الفرعية الوظيفية الاخرى الذي يفرضه التنظيم القبلي سيكون قليلاً كما أن التمثلات القبلية في البيروقراطية وبناء السلطة سيكون محدوداً جداً.

3- **للقبيلة مرجعيتها الذاتية.** فالنسق القبلي، على سبيل المثال، على روابط الدم والقرابة يصيغ أعرافه وآلياته في الضبط والسيطرة على روابط الدم والقرابة، فالتنظيم القبلي يعمل على سن قواعد للسلوك تحدد ما على اعضاء القبيلة القيام به في المواقف المختلفة التي تتعرض لها القبيلة في اوقات السلم او الحرب ، او التصرف في اراضي القبيلة بالبيع او الزواج الداخلي او الخارجي. يتم ذلك بواسطة ربطه بالعصبيه القبليه، فالاختيار للزواج ونمط الزواج وملكية الأراضي، وتولي القيادة في القبيلة تعد أمثله للمرجعية الذاتية في داخل النسق القبلي وتتم بما يسهم في دعم وتعزيز العصبية القبلية. فالقواعد والأحكام التنظيمية يتم التوافق عليها وتشريعها وتفسيرها وتطبيقها بما يخدم مصالح القبيلة ويضمن هيبتها واستمرارية انتظامها فالإشارة إلى الأشخاص سواء الجيدين أم السيئين لا يشار لهم بأسمائهم فقط ولكن يشار لهم بانتمائهم القبلي. كما أن قيمة الدية عن حالات القتل العمد أو غير العمد لا يحددها الفرد، ولكن تحدد من قبل القبيلة. كما أن المرجعية الذاتية للقبيلة تبرز من خلال المناطق الجغرافيه وممتلكاتها من الأراضي التي تقيم فيها علاوة على اسمها وهذا يظهر بشكل أوضح عند تواجد القبيلة الواحدة في أكثر من جغرافيا.

4- **تعد القبيلة نسقاً مقفلاً**، بمعنى أنه لا يوجد ربط مباشر بين القبيلة وبيئتها. فالقبيلة تتعامل من خلال ممثليها لدى البيئه عندما تتصل بالبيئات الخارجية، فالقبيلة تستجيب للحاجات المادية لأعضائها ولرغباتهم، إلا أن الاستجابة لتلك الاحتياجات والرغبات تؤثر في النسق القبلي فقط عندما يتم تقديمها بشكل يؤثر في العصبية القبلية. مثال، المشاركة في صنع القرار السياسي تتم من خلال الفاعلين سياسياً في القبيلة في العملية السياسية للدولة، وهذه المشاركة تكون فعاله فقط نتيجة للدعم الذي يلقاه الفاعلين من القبيلة المدفوع بالعصبية الاجتماعية، وهذا الدعم تقوم بمنحه القبيلة للفاعلين السياسيين لأنها تدرك بأن المشاركة السياسية في صنع القرار سيؤدي إلى نتائج إيجابية على القبيلة.

التمايز البنائي – الوظيفي للتنظيم القبلي :

يعد التنوع البنائي- الوظيفي Structural and Functional Differentiation في داخل النسق الاجتماعي القبلي اسلوبا للاستجابة للتغيرات التي تشهدها بيئة المجتمع. فالقبيلة باعتبارها

نسقا يسعى للمحافظة على حدوده في علاقته مع البيئة، تتفاعل بأحداث التنوع في البناء الوظيفي لمواجهة التعقيدات التي تشهدها البيئة، أو تشهد تفككاً، أو ربما تختفي، فالنسق الاجتماعي القبلي بوصفه تنظيماً كبير الحجم large Scale Organization ، يستغرق وقتاً طويلاً في التكيف مع التبدلات التي تشهدها بيئته كتلك التي تحدث في الجوانب السياسية، أو الاقتصادية أو التكنولوجية، وعلى الرغم من بطء عملية التعديل التي تحدث بفعل التفاعل، إلا أن التغيرات التي تشهدها بيئات النسق ستتجسد في بناء التنظيم، فالقبيله تضم في إطارها الهيكلي انساق فرعية إنتاجية اقتصادية، وسياسية، وعسكرية، تعليمية، علاوة على كونها تمثل مركز النسق القرابي. تضم كل واحدة من هذه الانساق الفرعيه العديد من المكانات والأدوار التي تشغل في داخل جماعات ترتبط فيما بينها علاقات اجتماعية متداخلة ومتبادلة وهذا ما يجسد بنائياً التغيرات البيئية كما أن النسق القبلي قد يعمل على تدريب وتجنيد أعضاء جدد . كلما ظهرت مواقف جديدة تتطلب ذلك، وهكذا فإن عملية التنوع في البناء الاجتماعي للنسق القبلي تعمل على الزيادة في تعقيد التنظيم.

تقترح نظرية الانساق الاجتماعية بأن التمايز في داخل البناء الاجتماعي يأخذ أربعة أشكال: الانقسام Segmentation؛ التدرج Stratification ؛ المركز- الطرف Center- periphery ؛ التمايز الوظيفي Functional Differentiation. فكيف يمكن الاستفادة من هذا التنظير في توضيح عمليات التطور الاجتماعي للتنظيم الاجتماعي القبلي؟

التمايز الانقسامي Segmentary Differentiation :

يعمل التمايز الانقسامي على تقسيم النسق على أساس الحاجه إلى إنجاز وظائف متطابقة بشكل متكرر. فقد ينقسم نسق القبيلة الواحدة في أكثر من مكان في المجتمع الواحد أو تنتشر القبيلة في أكثر من مجتمع. وقد تتميز الانقسامات فالقبيلة بنفس الدرجة من التنوع في البناء والوظائف.

التمايز التراتبي Stratified Differentiation :

يعد التمايز التراتبي تمايزاً عمودياً ويقوم على أساس المرتبة أو المكانة في نسق هرمياً، حيث تعمل كل مرتبة على إنجاز وظفيه محدده و مميزه في النسق. اذ تتوافر القبيله على عدد من المكانات و الأدوار التراتبيه ، فيشغل شيخ القبيلة أعلى مرتبة ثم يليه أعيان و وجهاء القبيلة و هؤلاء يستمدون الوجاهه والشرف الاجتماعي أما لوجودهم على رأس اللحمة أو الفخذة أو البيت أو من الثروة الاقتصادية التي يتميزون بها من امتلاك الأراضي أو المواشي، أو من خلال حصولهم على قدر من التعليم وخاصة التعليم الديني، وعادة ما تتقاطع أبعاد التراتب لتنتج ما يمكن أن نعده ذوات فاعله اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً .

التمايز التراتبي يمتد ليشمل القبائل، فالقبائل الأكثر عدداً وأكثر امتداداً على الأراضي وملكية للموارد الاقتصادية وبخاصة الثروة الحيوانية هي الأكثر قوة سياسية، فالتنظيم القبلي يشهد تراتباً

هرمياً رأسياً لقبائله وهذا ما ينعكس على الوصول اللامتكافئ للموارد كالوجاهة والثروة والسلطة بين القبائل، وهكذا فالأفراد الأعلى رتبة في القبيلة أو القبيلة الأعلى رتبة في القبائل لها الحظ الأوفر والقدرة الأكبر على أن تصبح مصدراً للاتصالات والتبادلات الأكثر تأثيراً، ما يترتب على ذلك، ظهور نسق تراتبي أكثر انشغالاً واهتماماً برفاهية وسعادة ذوي الرتب والمكانات العليا، أما أولئك الأقل رتبة سواء على مستوى العامة في كل القبائل أو على مستوى القبائل الأقل حظاً فإنهم ينالون قدراً من الاهتمام فقط عندما يدخلون في اضطرابات وصراعات يشعر أصحاب الرتب العليا أنها تهدد مصالحهم، ومع ذلك، فإن استقرار النسق القبلي واستمراريته يتحقق فقط عندما تتشكل ثقافة تعطي الشرعيه وتبرر عدم المساواة و تحدد من يحصل على ماذا و لماذا عندها تدرك كل المراتب، بما فيها المراتب الدنيا، وظائفها وتقبل بها وتعمل على إنجازها.

التمايز بين المركز و الطرف Center-periphery Differentiation

يجمع التمايز بين المركز والطرف التمايز الأفقي في البناء الاجتماعي للتنظيم القبلي (القبيله تتجزأ إلى عدة فروع في النسق الاجتماعي الثقافي الواحد أو عبر مجتمعات متعددة)، والتمايز الرأسي التراتبي بين القبائل المتعددة، فهناك قبائل مركزية وأخرى طرفية يميز بينها التراتب في التأثير على الاتصال والتبادل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، على سبيل المثال، بعض القبائل يتجزأ قسم منها ويستقر في مناطق أخرى داخل المجتمع الواحد أو حتى في مجتمعات أخرى، إلا أن القبيلة الأساس ظلت هي المركز المتحكم وإلى حد ما المسيطر على القبائل الطرفية المتجزئة عن القبيلة المركز.

تمايزات الانساق الوظيفية Differentiations of Functional systems :

وفقا لنظرية الانساق الاجتماعية فان التمايزات البنائيه التي يشهدها النسق الاجتماعي القبلي تحدث استجابة للتطورات الاجتماعية الثقافية التي يشهدها المجتمع في تفاعله مع بيئاته المتنوعة الفيزيقية والاقتصادية والسياسية بهدف إشباع الضرورات الوظيفية لبقاء المجتمع واستمراريته. تنبثق عن هذه العملية انساق فرعية متمايزة وظيفياً، فكل وظيفة في داخل النسق يتم إسنادها إلى نسق فرعي معين، فيظم المجتمع انساقاً فرعية متمايزة وظيفياً مثل النسق السياسي، والاقتصادي، والعسكري والطبي العلاجي،... الخ.

تقدم القبيلة الأساس البنائي للانساق الوظيفية الفرعية في التنظيم القبلي كما تقدم الطبقة الأساس البنائي الانساق الوظيفية الفرعيه في التنظيم الطبقي، ولكن إلى أي مدى التنظيم القبلي قادراً على تطوير استجابات، في شكل انساق وظيفية فرعيه استجابة للتغيرات التي تشهدها بيئاته؟ أو بصيغه توظف لغة النظرية الوظيفية هل التنظيم القبلي وظيفي أم معوق وظيفي لعمليات التمايز البنائي الوظيفي التي تمثل جوهر التطور الاجتماعي الثقافي؟

تجادل نظرية الانساق الاجتماعي بأن التمايز Differentiation (انبثاق انساق فرعيه في البناء الاجتماعي استجابة لضرورات وظيفية مجتمعية)، يقود الى التنوع Variation في البناء الاجتماعي (الزياده في عدد مكونات البناء الاجتماعي: مكانات وأدوار، جماعات، انساق اجتماعيه فرعية) وهذا يسمح بإختيار استجابات اكثر ملائمة للتغيرات في بيئات المجتمع، كما يسمح بتطور أسرع. فالتطور الاجتماعي الثقافي بالنسبة لنظرية الانساق لا يعدو عن كونه عملية اختيار من التباين، بناء على هذا المنظور فإن القوة الكامنة للتطور في التنظيم القبلي تتحدد في امكانية ظهور اشكال مختلفة من الانساق البنائية – الوظيفية ليتم الاختيار من بينها لإنجاز الضرورات التطورية التي تتطلبها بيئات المجتمع.

التطور لا يتم بعملية واحدة ولكن بسلسة من العمليات تعمل على إنجاز ثلاثة وظائف: التنوع Variation في البناء الاجتماعي ينتج عن التمايز البنائي، الانتقاء Selection، أما العملية الثالثة فتتم عندما يشهد النسق الاجتماعي الذي تم اختياره، الاستقرار والتموضع Stabilization البنائي لخصائصه في النسق الاجتماعي الثقافي الكلي (المجتمع). وتعد هذه العمليات بمثابة آليات التشغيل لعملية التطور الاجتماعي الثقافي للمجتمع؛ فعندما يواجه المجتمع مشكلة ما، تتطور العديد من الحلول المتنوعة Variations للتعامل مع الاظطراب البيئي الذي أحدثته المشكلة. بعض من هذه الحلول قد تكون فعالة بينما الأخرى لن تكون كذلك، و هنا يحدث الانتقاء Selection من بين تلك الحلول، إلا أن انتقاء حل معين لا يعني بالضرورة أن الحل الأفضل قد تم انتقائه، ولكن قد وقع عليه الاختيار ربما لأنه الحل الأسهل في إعادة إنتاج بناء اجتماعي متوازن ومستقر. في حالة النسق الاجتماعي فإن إيجاد التوازن والاستقرار عادة ما يتضمن نوع جديد من التمايز الذي يتطلب إحداث تعديل في كل أجزاء النسق لتتكيف مع الحل الجديد الذي تم انتقائه لحل مشكلة المجتمع التي يواجهها في أحد بيئاته. ستحقق العملية التطورية غايتها فقط عندما مرحلة الاستقرار والتوازن تكون قد اكتملت(Ritzer 2008:202) .

مشكلات التمايز الوظيفي :

تجادل نظرية الانساق الاجتماعية بأن التمايز الوظيفي يتطلب بأن يكون لكل ضرورة وظيفية نسق وظيفي متخصص في إنجازها، وبالتالي فإن كل الضرورات الوظيفية للمجتمع لا يستطيع أي نسق وظيفي القيام بها، ويرجع ذلك إلى أن لكل نسق وظيفي Code مرجعية رمزية، وبخاصة لغة متخصصة، وتشريعات إجرائية يستخدمها في الاستجابة لمشكلات البيئة. وبالتالي فإن النسق الوظيفي غير المتخصص لا يستطيع تقديم المشكلة التي ليست في مجال حدوده البيئية بكفاءة. ضف إلى ذلك أن هذه المرجعية المتخصصه هي وسيلة الاتصال Communication بالأنساق الفرعيه الأخرى.

تذهب النظرية إلى حد أبعد من ذلك بأن العديد من الانساق الوظيفية وعلى الرغم من تميزها بمرجعيه Code رمزية متخصصة إلا أنها لا تستطيع أن تتعامل مع المشكلات بكفاءة عندما يتعلق الأمر بآثار المشكلة على الانساق الوظيفية الفرعية الأخرى وعلى المجتمع ككل (Ritzer: 207) .

هذه الصورة كما تعرضها نظرية الانساق لمشكلات التمايز الوظيفي في المجتمعات المدنية المعاصره؛ فكيف يكون الحال عندما يتعلق الأمر بمشكلات التمايز الوظيفي في المجتمع الذي تشكل فيه القبيلة الأساس البنائي للانساق الوظيفية.

تقترح نظرية الانساق الاجتماعي بأن الانساق الوظيفية في المجتمع المعاصر قد يصدر منها الكثير من التنبيهات أو القليل من التنبيهات عن المشكلات التي تحدث في بيئاتها . عندما تقل التنبيهات التي تصدرها الانساق الفرعية هذا يعني أن النسق لا تكون لديه ردة فعل جيدة للمشكلات والسبب هو أن النسق ليست لديه لغة متخصصة، وتشريعات تؤهله بالقدر المطلوب للتعامل مع المشكلات أو ان عدد بيئات الانساق الوظيفية الاخرى التي تؤثر فيها مشكلة بيئيه لأحد الانساق قليل، ويحدث العكس في حالة الزيادة في عدد التنبيهات التي تصدر عن أحد الانساق الوظيفية يحدث لتميز ذلك النسق الوظيفي بكفاءة عالية في اللغة المتخصصة والتشريعات أو لأن المشكلة البيئية تؤثر في عدد كبير من الانساق الوظيفية الأخرى، وفي كل الأحوال فإن الذي يحدث من ردود أفعال الانساق للمشكلات البيئية هو نتيجة الاعتماد الوظيفي المتبادل بين الانساق الوظيفية.

هذه الصوره التي تقدمها نظرية الانساق الاجتماعية من مشكلات التمايز الوظيفي في المجتمعات المدنية المعاصره التي يعتمد فيها إنجاز الضرورات الوظيفية على انساق وظيفية على درجة عالية من التخصص وتقسيم العمل من خلال تنظيمات رسمية عقلانية ورشيدة، فكيف يكون الحال عندما يتعلق الأمر بمشكلات التمايز الوظيفي الذي تشكل فيه القبيلة والقرابة الاساس البنائي للانساق الوظيفية.

ما الأثر الذي تحدثه القبيلة كنسق وظيفي على التمايز الوظيفي للانساق الفرعية في المجتمع؟ ما يعد ضرورياً بالنسبة للمجتمع ككل قد لا تستطيع القبيلة كنسق وظيفي بمفرد أن يتعامل معه، والعوامل التي تقف وراء ذلك متعدده يأتي في مقدمتها أنه قد لا يكون للقبيلة كنسق وظيفي اللغة أو حتى رموز الاتصال لتقديم المشكله التي يواجهها المجتمع بشكل ملائم، كما أن الاعتماد الوظيفي المتبادل بين القبيلة والانساق الاجتماعية الوظيفية الفرعية يؤثر على التمايز في التخصص الوظيفي بين الانساق ما يقود إلى عدم وضوح وغموض الوظائف المقصودة أو الظاهرة للنسق أو تكون قبيله معوقاً وظيفياً، للعديد من الانساق الوظيفية الفرعية.، على سبيل المثال، قد تعمل القبيلة على التأثير على النسق القانوني في تطبيق القانون بسبب ما توفره من غطاء اجتماعي لاعضائها.

المراجع:

1. تم الاعتماد في إعداد هذا الجزء على كتاب:

George Ritzer,2008,Modern Sociological Theory, New York: McGraw-Hill: 196-212 .

2. Lenski,G &Lenski, J(1978). Human Societies. New York, McGraw book co. pp 31

3. Lenski,G &Lenski, J(1978). Human Societies. New York, McGraw book co.

4. Lenski,G &Lenski, J(1978). Human Societies. New York, McGraw book co. pp 67-69

5. Bukley,Walter(1967). Sociology and Modern Systems Theory. Engle Wood. Cliffs. NJ. Prints Hall.

6. Ball,R.A.(1978). Sociology and General Systems Theory. American Sociologist. pp13-65-72.

7. Ritzer,George (2008). Modern Sociological Theory. New York. MsGraw Hall. Pp 202

8. Ritzer,George (2008). Modern Sociological Theory. New York. MsGraw Hall. Pp 207